

البعد الوطني في شعر اليمين الحديث

□ ذكر الدكتور هلال ناجي في كتابه «شعراء اليمن المعاصرون»، (ص: ٦٠) أن اليمن انمازت عن غيرها من الأقطار العربية بكثرة الشعراء، الشهداء، الذين قدموا دماً، هم رخيصة في سبيل وطنهم الغالي، ومنهم: الموشكي، والمطاع، والورش، والشماحي، والبراق، فهذه القائمة من الشهداء، كان لها أثر فعال على مسار تجربة النضال وانتزاع الحرية من الاستعمار في الجنوب والإمامة في الشمال.

ويرى الدكتور عبدالعزيز المقالح في كتابه «الأبعاد الموضوعية والفنية»، (ص: ٧٠)، أن قيمة هذا الشعر تتجلى في أثر الكلمة الشعرية المناهضة على إثبات قدرة الإنسان على اتخاذ موقف حر، كما يتأكد بها دور هذا الإنسان وقدرته - أيضاً - على مواجهة الصعاب وتحمل العقبان الكثيرة التي تعترض طريقه للوصول إلى الحرية والاستقلال وتجاوز الواقع المرهق بمظاهره الفاسدة.

ويؤكد هذه التجربة الدكتور عز الدين إسماعيل في موضوع نشره في مجلة «الثقافة»، عدد أكتوبر ١٩٧٧ م، (ص: ١١)، إذ يقول: «إن الشعر في اليمن في هذه الفترة ظل الصوت الوحيد الذي تتردد فيه أنفاس الشعب المغلوب على أمره، بل تستطيع أن تقول إنه الصوت الوحيد الذي ظل - رغم ما لقيه الشعراء، من قتل أو سجن أو تشريد - يقاوم المغيان ويضرب جدارته بكل ما يملك من ملقة وعنف».

صالح عقيل بن سالم



لا عن قلبي ولا عن لساني
صنع الله منك طينة قلبي
ويرى من شذاك روح بياني
لقد حاول الشاعر في هذه القصيدة توظيف المعجم الذي استخدمه الشعراء الرومانسيون، فالفردات: ذكريات، الجنان، الأمانى، النسيم، النوى، الدمع، الريح، الحقل، الأزهار، فكل هذه المفردات استخدمها الشعراء الرومانسيون في نقل تجاربهم واليوح بها، فكثيراً ما يلجأ الشاعر الرومانسي إلى الطبيعة لتكون منفذاً وسفيره في بث معاناته وتجاربه.

كذلك كان للصورة الشعرية حضور فعال في نقل التجربة، فالقوة التأثيرية لصورة «الذكريات» حسية، وهي: تشبيه الذكريات بالقطر، وتشبيهها بالمتنصر في الحرب، أي بشيء له قوة، وتشبيهها بالأشياء المتحركة، كالأشجار المليئة بالثمر، التي بمجرد أن تحركها تتساقط عليك ثمارها. ويظل الشاعر قريباً من التراث العربي حين صاغ هذه الصورة، فقد سبقه من صاغ مثل هذه الصورة التي استوفقت علماء البلاغة والفن، فقد قال الدكتور جابر عصفور في كتابه «الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب»، (ص: ٤٤) «إن سنان قد عد بيت امرئ القيس:

(فقللت له لما تمطى يصبليه
وارد أعجازاً ونساء بكلل)
دخلاً فيما أسماه بالاستعارات المتوسطة، لا فيه من بناء استعارة على أخرى، فإن عبد القاهر يرى أن مثل ذلك البيت أفضل من غيره، لأنه ما هو أصل في شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات، قصداً إلى أن يلحق الشكل بالشكل، وأن يتم المعنى والشبه فيما يريد».

6- شعر التقني بالوطن

□ ما من شاعر إلا وتغنى بوطنه، مهما كانت الظروف ومهما كانت الحياة التي يعيشها، فالوطن حق على كل إنسان، غير أن الشعراء هم أكثر الناس تمثلاً لأوطانهم، لما خلق الله تعالى فيهم من حب للأوطان والحكمة والأحاسيس التي توجههم إلى التعبير عما يحيطهم ويتألمهم من مشاعر ومواقف، ومن ذلك قول الشاعر أحمد علي الهمداني في قصيدته «وطني» منها:

وطني: هواك يعيش في أنحائي
هبت لذكراك الجوانح فالتقلت
في داخلي للعشق نار نكاء
وطني: تذكرني هواك صبايبي

أمام مقلتي: حتى تدرجت الابتسامة نحو شفقتي، هرع نحوهما .. وأمطرهما زفراً: فإنتظت إحدى الشمعتين، نهرته بعنف، وياغته والده بصفحة على وجنته صارخاً في وجهه:
لماذا أطفأتها؟! غبي .. متهور .. بعد مشقة تكنتك من إشعالها، أنت فعلاً أحمق.
تراجع إلى الوراء .. تكور حول نفسه .. وضع كفه على وجنته الملتئبة .. نظري إلينا بعينين مكهورتين ووجه يتقاطر حيرة .. انزوى جانباً .. انصهر الألم في أعماقه، بعد صراع مع الحيرة والألم جمع شتاته، رمق ما حوله بنظرات مقفرة تقافزت منها الوحشة، وبشفقتين باردتين يكسوهما البياض، ودموع تنزف، تساقطت كلمات عتاب بريئة من شفقتي، وغمغم بصوت متقل بالكاء:
لماذا؟! لقد توصلتما إلى لإطفاء عدة شموع وعندما أطفأتها صفقتم لي بحرارة؟! لماذا عندما أطفأت شمعة ...؟
لم نعهز أي اهتمام، كنا منشغلين بالبحث عن وسيلة إنارة سوى الشمعة الدامعة: لتنظيف المكان وجمع المخلفات انطوى على مرافته، تراجع خطواته ببطء، اتخذ سبيله نحو باب غرفته، انسكب الحزن في عينيه، ارتدى وجهه مسحة كالحة، تحسست قدماه طريق غرفته، بحث عن سريره وانزوى على حافته.
احتضن وسادته، بللتها دمعاته المنسكية من ماقية، ارتعشت أطرافه السفلى، قوسهما، احتضنتهما ذراعه، بينما احتضن أنفاسه المرعزة، وصهره الألم حتى التماهي، لمل شتاته وقضى ليلته الجانحة باكياً على سريره، تنقد جمرة حزنه.
انبثق ضوء شمعة دامغة ظلت تحترق بلهب خفيض أمام محجريه، بينما تغرغرت الدموع في حدقتيه واكتسحته ظلمة مقفرة، وهدير غضبه الرهيب يتسكع في أعماقه ونيداً .. ونيداً ..
احتضن نور الشمعة، وغرق في سريره، طوقها بين كفيه، يشكر لها تارة أشجانه وألمه، ويعاتبها تارة أخرى حتى غشيته النعاس، أسدلت حدقتاه ستارهما، بينما انسلت الشمعة من قبضتيه، وألقت بنفسها على سريره.

ملك الوري جدد لنا عصر نهضة
تصبرنا كيف الحياة كما هيا
ملك الوري أنت المرجى لغمّة
بها ضبح سكان البلاد شكوايا
فاجر رسوم العدل فيهم فإنه
هو العدل تلقاه الطبيب المداويا
وحقق لنا الأمل فيك عظيمة
(ولا تفعل الفلعات إلا عذاريا)
وشيد صروح العلم فالعلم وحده
تراه لأدواء الجهلة شافيا
ولم يستجب الحكام لهذا الشعر، بل تماردوا في غيهم وطمعانهم، وهذا ما دعا الشعراء إلى المواجهة والتفريع واتخاذ موقف مغاير، «المواجهة والتفريع»، ومن ذلك قول الشاعر زيد الموشكي: «ستقر بعد اليوم من ندم سنا
إذا ما فؤاد الشعب باح بما جنا
ولبي أباة الضيم أصوات هاتف
بهم سمعت أصواته الإنس والجنأ
ينادي بأعلى صوته قائلاً لنا
الا استيقظي يا أمة اليمن الوسنى
لقد طال هذا النوم حتى كاتكم
أوى منكم الأقصى إلى الكهف والأدنى»
نلمح من خلال هذا النص تغيير الموقف وبدائية مرحلة جديدة من المواجهة مع الحكام والتفريع، فلا يتفجع المدح والاستعطاف في ظل حكم ملكي كهوتي يغيظ يسعى إلى عزل اليمن عن العالم وجعلها تعيش في دوامة التخلف والجهل والمرض.

4- شعر التغزل الوطني
□ وهو أن تجعل الوطن عاشقة وحببية، وهذا الشعر كثير ما يتحلى بالقفوس الصوفية، ومن ذلك قول الشاعر أحمد الشامي:

ذكريات فاحت برياً الجنان
فسبت خاطري وهزرت جناني
عمر في دقاتك مستعاد
ودهور مطلة في ثواني
فكان الماضي تأخر في النفس
واسترجعت صداه الأمانى
ما يهب النسيم إلا وجدنا
فيه زفرة من الأوطان
أه ويح الغريب ماذا يقاسي
من عذاب النوى وماذا يعاني
ليس في الأرض للغريب سوى الدمع
ولا في السماء غير الأمانى
حطمتني يا ريح ثم انثري أشلاء
روحني في جو نلك الجنان
وزعيني في كل حقل على الأزهار
بين القديود والأغصان
وطني أنت نفحة الله ما تبرح

2- شعر الإيقاظ الجماهيري
□ ويتمثل هذا الشعر في الدعوة إلى الإيقاظ والتحريض والنهوض بالشعب ضد العدو المستبد، وفي ذلك يقول الشاعر عبدالرحمن بن عبد الله السقاف:
«أين الحمية والأمال والههم؟
أين العزيمة أين المجد والشمع؟
أين الشعور الذي تحيا الشعوب به
أين الحياة التي يدري بها الألم
من لا يغار لعز نأبيه وهن
فلن يغار إذا ما نبلت الحرم
هذا الوجود الذي لا فضل فيه لنا
على بهائمنا سيان والعدم
أيان نعمل في إصلاح أمتنا
فقد ترفقت إلى أوج العلا الأمم»
يدعو الشاعر في هذا النص إلى النهوض والسعي نحو العلاء والمجد، وينبذ مرارة الحياة، إذ أحيطت بالآلم والوهن والمذلة، فقد استخدم اللفظ توحياً بذلك، مثل: «الحمية، الهم، العزيمة، المجد»، واللافت في النص تكرار أسلوب الاستفهام «أين»، الذي يوحي بالبحث عن المكان الذي يرضاه الشاعر ويطمح إلى تحقيقه والعيش فيه.

3- شعر مخاطبة الحاكم بقصد الإصلاح
□ لقد حاول الشعراء في بداية مرحلة النضال أن يتجهوا بالمديح والاستعطاف إلى الحكام بغرض إصلاح الأمور والأحوال، وحاولوا مراراً بث روح الفروسية والإسلام في نفوس الحكام، ومن ذلك قول الشاعر علي أحمد باكثير في مخاطبة السلطان «علي بن السلطان المنصور الكثيري»:

ملك الوري هذا أوانك فابنيها
قصورا من العلباء شما عواليا



كما انمازت هذه المرحلة، «النضال والثورة»، بطفيليات الشعر الوطني على أغراض الشعر، فقلما نجد لشعرنا أشعاراً في غير معركة الشعب، فما أقل شعر الوصف والغزل والرمميات، وفي ذلك نجد مقومات ودوافع دفعت هذا الشاعر بقوة إلى تبني قضايا الشعب والأمة، أهمها مقوماتها الإسلامية والثقافية والتاريخية.

والبعد الوطني لا يقف عند قضية من القضايا الوطنية، فقد عبر الشعراء في اليمن عن قضايا وطنية كثيرة، أهمها:

1- شعر الأحداث الوطنية
□ يعبر هذا الشعر عن الوقائع والأحداث الوطنية، فما من حدث كبير أو صغير إلا وتناولوه الشعراء، ومن ذلك خروج الزبيري والنعمان والشامي والموشكي وسواهم إلى عدن، فقد عبر الزبيري عن ذلك الحدث بقصيدته المشهورة «الخروج من السجن»، إذ يقول فيها:

خرجنا من السجن شم الأنوف
كما تخرج الأسد من غابها
نمر على شفرات السيوف
ونتاسي المنتجة من بابها
ونابى الحياة إذا نُتست
بعسف الطغاة وإرهابها
ونحتقر الحادثات الكبار
إذا عترضتنا باتعابها
ستعلم أمتنا أننا
ركبنا الخطوب حناناً بها
فيان نرحم فنزنا فيما طالما
تسذل الصعاب لطلابها»

نجد في هذه القصيدة ارتباط قضايا الوطن وتلاحمها، فهؤلاء الشعراء ضاق بهم الحال في شمال الوطن، فاحتضنتهم «عدن» ليعلموا منها نضالهم ويؤسسوا فيها جمعيتهم، «الجمعية اليمنية الكبرى»، التي قادت حركة النضال ضد الإمامة والاستعمار.

ويرى الدكتور عبدالعزيز المقالح في كتابه «الأبعاد الموضوعية والفنية»، (ص: ٦٠)، أن هذه القصيدة بداية الانعطاف الكلي في الشعر نحو الوطن، فقد اتسمت بالنبرة العالية وكانت الشئيد الوطني الذي ردده الشاعر وهو يغادر قصر الطاغية في طريقه إلى الشعب بعد مهانة عقيمة وبعد أمل كاذب لم يثمر سوى المخاوف والتهديد بالموت.
كما نرى، من ناحية فنية، اتكاء الشاعر على صوت «النون» في هذه القصيدة، إذ كان يوحي بإثبات الذات «نا» والرفعة وعدم الخضوع من خلال إيصال «النون بألف الله» الدالة على القوة والجماعة.

قصة قصيرة

عندما حل المساء .. أطفأ شمعة

بليقيس أحمد الكبسي

كان يوماً شاقاً.. وحافلاً .. حُفرت أحداثه في جدران ذاكرتي ، لا زال رأسي متخن بها .. ثمة أحداث لا يحويها السنين مهما كان جبروته ، يومها صنعت له كعكة كبيرة.. غرست على وجهها بضع شموع ذات ألوان مختلفة.. أعدت حلوى متنوعة.. وعصائر ملونة.. وحضرت بعض الفطائر اللذيذة .. علقت الزينة المتألثة.. أطلقت البالونات السابحة في الهواء ، تحضيرات جمّة أعدتها بمفردي ، لم تمتد أيدي العون لمساندتي.

وبعد أن أطفأت الشمس أنوارها، وتوارت خلف الغيب ، توسط طاولة طوقها المحققون كباراً وصغاراً، تعالت أصوات موسيقى عيد الميلاد، امتزجت أنغامها بأصواتهم ، الحُ على الجميع إطفاء الشموع، وقف ينظر إليها وهي تنقد بأغراء أمام عينيه ، انحنى نحوها بتأن ، ثم زفر الهواء في وجهها فانطفأت. صفق له الجميع بحرارة ، أمطروه عبارات محفزة ، تعالت القهقهات ، وامتزجت الأنغام بالضحكات ، تناثر المزاح واللعب ، أكلوا وشربوا ، انسل الوقت ببطء حتى انقضى الاحتفال ، وانفض الجميع إلى بيوتهم تاركين وراءهم مكاناً غارقاً بالفضائيات ، بقايا طعام وشراب ، أطباق وكؤوس مبعثرة ، وملاعق متناثرة.

نظرت إلى الفوضى العارمة بعينين منهكتين ، جسد متهاك وغيط غارق في الصمت ، تنهدت ، أسدلت ذراعي ، صببت سلة من الأسئلة على رأسي ، وقفت أتأملها وتندم يدي في أعماقي :

يا ترى كيف سأقوم بتنظيف كل هذه الفوضى؟! من أين سأبدأ؟! وأين سأنتهي؟! هل من أيام سحرية ستتفكك بالتهام الفوضى التفتيشية؟! الوقت متأخر وأنا متعب، وجسدي يكاد ينهار.

راودتني أفكار ضوؤها خافت ، ومحاولات أعلم أن لا

تراجع إلى الوراء .. تكور حول نفسه .. وضع كفه على وجنته الملتئبة .. نظري إلينا بعينين مكهورتين ووجه يتقاطر حيرة .. انزوى جانباً .. انصهر الألم في أعماقه، بعد صراع مع الحيرة والألم جمع شتاته، رمق ما حوله بنظرات مقفرة تقافزت منها الوحشة، وبشفقتين باردتين يكسوهما البياض، ودموع تنزف، تساقطت كلمات عتاب بريئة من شفقتي، وغمغم بصوت متقل بالكاء:
لماذا؟! لقد توصلتما إلى لإطفاء عدة شموع وعندما أطفأتها صفقتم لي بحرارة؟! لماذا عندما أطفأت شمعة ...؟
لم نعهز أي اهتمام، كنا منشغلين بالبحث عن وسيلة إنارة سوى الشمعة الدامعة: لتنظيف المكان وجمع المخلفات انطوى على مرافته، تراجع خطواته ببطء، اتخذ سبيله نحو باب غرفته، انسكب الحزن في عينيه، ارتدى وجهه مسحة كالحة، تحسست قدماه طريق غرفته، بحث عن سريره وانزوى على حافته.
احتضن وسادته، بللتها دمعاته المنسكية من ماقية، ارتعشت أطرافه السفلى، قوسهما، احتضنتهما ذراعه، بينما احتضن أنفاسه المرعزة، وصهره الألم حتى التماهي، لمل شتاته وقضى ليلته الجانحة باكياً على سريره، تنقد جمرة حزنه.
انبثق ضوء شمعة دامغة ظلت تحترق بلهب خفيض أمام محجريه، بينما تغرغرت الدموع في حدقتيه واكتسحته ظلمة مقفرة، وهدير غضبه الرهيب يتسكع في أعماقه ونيداً .. ونيداً ..
احتضن نور الشمعة، وغرق في سريره، طوقها بين كفيه، يشكر لها تارة أشجانه وألمه، ويعاتبها تارة أخرى حتى غشيته النعاس، أسدلت حدقتاه ستارهما، بينما انسلت الشمعة من قبضتيه، وألقت بنفسها على سريره.



بريشة/ عبدالجبار نعمان